تمشي في الشارع . تجلس في مقهى . تسافر في أوتوبيس ، وتسكت . لست مدعوا للاعلان عن هويتك . ان صمتك يقول كل شيء . هو الموقف الوحيد الذي يتاح لك ان تتخذه حين تستمع الى هذا الغزل الاسرائيلي . انتهى عصر الكلمات العذبة . سأهديك غزالا وقمرا . لا . ما أبعد الفارق بين الخيال السابح في الصحراء والخيال المصنوع من التكنولوجيا والنصر . كلمات الحب الان منسجمة مع آخـــر أحداث الساعة وأحدث مبتكرات السلاح . واللذة لا تتناغم مع أشياء الطبيعة .

هكذا أصبح العربي في اسرائيل متخلفا حتى في ممارسة الحب . لقد احتاج الـــى وقت طويل لكي يعرف كيف يخاطب صديقته بالورد . فكم من العصور يحتاجها هذا المخلوق لكي يتدرب على هذا الغزل : يا عزيزتي . . سأهديك دبابة .

وبماذا تفكر ؟ كيف ينامون في الدبابات ! وكيف ينجبون أطفالا في الدبابات ! وكيف يتنزهون في الدبابات ! على رسلك . . هذا هو البيت الاسرائيلي المأمون . هذا هو عش الحب . وهذا هو المستقبل !

[٩]

● وفي عيد رأس السنة ، ماذا تفعل ؟

تنزل الى الشارع لتبحث عن بطاقة جميلة ترسلها الى صديق . فماذا تجد ؟ لا صورة لوردة واحدة ، ولا رسما لشاطىء أو عصفور او امرأة . لقد اختفت كلها لتعطي المكان للدبابة والمدفع والطائرة وحائط المبكى والمدن المحتلة ومياه قناة السويس المنقولة الى هذه البطاقات . وحين تلمح غصن زيتون تجده مرسوما على جناح طائرة مقاتلة من صنع فرنسي .

وحين ترى فتاة جميلة تجدها مدججة بالسلاح . وحين تقع عيناك على مدينة تجد خلفيتها حذاء جندي ، فيقع قلبك على الارض . ولا يبقى لك الا أن تنكمش في زاوية الشارع المزدحم ، لتفسح المجال أمام آلاف الايدي الممتدة نحو بطاقات العيد الملونة . . ترسلها الى يهود العالم تعبيرا عن فرحة البعث التاريخي ، وعودة الاسطورة . وأنت لا تبعث الى أصدقائك الا صمت القلب الذي لا يصل .

ويفاجئك الكرنفال في الشارع . ينقض عليك الضوء كما كان ينقض عليك وأنت خارج من زنزانة مظلمة . وأسراب من الاطفال ــ الحمائم مدججة بالسلاح . اللعبة سلاح . والمتعة سلاح .

وأنت ؟ ليس في طفولتك وشبابك غير حصان خشبي . .

[١٠]

● تريد أن تنام ؟

في الساعة الرابعة صباحا ، يوقظك جرس الباب . تعرف الزائر . ولكن النعاس أقوى من الشرطة . وفي التاسعة صباحا تذهب الى مكتبك لتعمل . تستمتع بنصف فنجان القهوة قبل قراءة الاخبار . يأتيك الزائر المعتاد ويقول : تعال معي ! . تسأله : اعتقال . . أم تحقيق ؟ . يقول : لا اعرف . تسأله أن تأخذ فرشاة أسنانك وأدوات الحلاقة وملابس داخلية ، فيرد عليك : لا وقت !

تجلس أمام الضابط .